المحاضرة الثالثة

إشكالية الدلالة بين التطور والتغيير 2: المظاهر

أولا: مجالات التغير الدلالي

هناك ثلاثة مجالات للتغير الدلالي وهي: المجال الأساسي الذي يمثل **الأصل الحسي** للدلالة والمجال الثاني: الذي يشهد **التغير بين المحسوسات عن طريق التخصيص والتعميم والانتقال**، والمجال الأخير: وهو **المجال المعنوي**.

- **المجال الأوّل:** ويكون بالبحث في الأصل الحسّي، والذي يتمثل في أقدم معاني الكلمات التي عايشها أهل اللغة، " **وهذه الدلالة هي دلالة عرفية حقيقية** لا تحتاج إلى قرائن، بل تستغني في الدلالة على المراد منها بنفسها عن سائر ما تحتاجه ضروب الدلالات المجازية من علاقات ".

والمقصود هنا هو المعنى الذي يجري به الاستعمال، أي قبل أن يشهد شيئا من التغير في أي اتجاه مثل: كلمة تقليد، وترجع إلى " مادة قلد فأصل هذه الكلمة كما ذكره اللغويون هو قَلْدُ الحبل أي فَتْلُه قوَّة على قوة، ومنه القلادة التي تقلد بمعنى تُفتل من خيط أو فضة ".

- **المجال الثاني:** وتتطوَّر فيه المحسوسات، ويكون من خلال هذا المجال خروج اللغة من السكون والاستقرار النسبي إلى الحركة، والتغير بفعل ما يجري في المجتمع من تطورات تنعكس على اللغة، مثال ذلك: قلد الماء واللبن أي: جمعها وضمَّها.
- **المجال الثالث:** تجد فيه اتجاهات نحو المعاني الذهنية المجردة، وذلك يرجع لرقي العقل الإنساني وتطور الخبرة لديه، ويمثل هذا الاتجاه أي الانتقال من المعاني الحسية إلى المعاني المجردة الاتجاه الظاهري في تغير الدلالة مثل: القلادة وهي كما سبق وأن ذكرنا في المجال الأول فرع من الأصل، فقد اتجه إلى معاني ذهنية اعتمادا على المشابهة بين تقلد القلادة، أي وضعها في العنق من جهة ومن جهة أخرى إتباع الإنسان فيما يفعل أو يقول من جهة أخرى، وبذلك ظهر المعنى الذهني المتمثل في التقليد، وهو " قبول القول من غير دليل ".

ثانيا: مظاهر التغيُّر الدلالي

للتّغير الدّلالي مظاهر وأعراض، وقد لخصها إبراهيم أنيس في كتابه في خمس مظاهر نذكر منها:

1- تغيّر الدّلالة بالاتّساع (تعميم الدّلالة)

ويقصد به تعميم الدلالة الخاصة، ويتم ذلك بتوسيع معنى اللّفظ ومفهومه أو نقله من معنى الخاص الدّال عليه، إلى معنى أعمّ وأشمل، وبه تصبح الكلمة دالة على عدد من المعاني أكثر مما كانت تدل عليه من قبل أو تدل على معنى أعم من معناها الأول، ويعني توسيع المعنى أن يصبح عدد ما تشير إليه الكلمة أكثر من السابق، وبمعنى آخر هو تحويل الدّلالة من معنى ضيق إلى معنى أوسع، ومن أمثلته:

- كلمة (السيارة) كانت في الماضي تعني القافلة، ولكن توسع في معناها، وأصبحت تدل الآن على وسيلة النقل المعروفة.
- كلمة (قطار) تدل عل قطار الإبل تشدّ على نسق واحد خلف واحد، وتوسع في معناها لتدل على قطار السّكة الحديديّة.
- كلمة (البأس) كانت تطبّق فقط على الحرب، ثم أصبحت تطلق على كل شدّة.

2- تغيّر الدّلالة بالتّضييق (تخصيص الدّلالة)

وهو ضد التّوسيع ونعني به " تخصيص العام أو تخصيص مجال الدّلالة وتحويلها من المعنى الكلي إلى المعنى الجزئي، ويسمى أيضا بتقليص الدّلالة، والتّخصيص يعني قصر المعنى العام على بعض أفراده، وتضييق شموله، وذلك أنّ مدلول الكلمة يتغير تبعًا للحالة

التي يكثر فيها اســـتخدامها، كما أنّ دلالة الكلمة التي كانت تدل على معانٍ كلية عامة لتصبح دالة على معنى خاص ".

وباختصار نعني بالتّخصيص، كما يقول عوض حيدر " **هـــو أن يضيّـق معـــنى الكلمة على مرّ الزّمان، فتتحول دلالتها من معنى كلي إلى معنى جزئي أو يقلل عدد المعاني التي تدل عليها، أي أنّ الكلمة أصـــبحت بالتّخصـــيص دالة على بعض كانت تدل عليه من قبل**"، ومن أمثلته:

- كلمة (الحج)؛ إذْ كانت تعني القصـــد، فيقال: حجَّ فلان أي قدم، وحججت فلانًا أي: قصـــدته، ثم اســـتقر بها في القصـــد إلى مكة للنّسك، والحج إلى البيت خاصة.
- كلمة (الحرمة) بعد أن كانت تطلق على كل محرم لا يمس، ثم صارت تدل فقط على المرأة.
- كلمة (الصـــلاة) كانت تدل على الدّعاء، ثم أصـــبحت تدل في الإســـلام على الأقوال والأفعال المخصـــوصـــة المفتتحة بالتّكبير، والمختتمة بالتّسليم بشرائط خاصة.

3- انحطاط المعنى

فكثيرًا ما يصيب الدّلالة بعض الانهيار أو الضعف، فتراها تفقد شـــيئا من أثرها في الأذهان، أو تفقد مكانتها بين الألفاظ التي تنال من

المجتمع الاحترام والتّقدير، وقد تطرق عبد الجليل منقور لهذا المظهر فقال " ... قد تتردد الكلمة بين الرقي والانحطاط في سلم الاستعمال الاجتماعي، بل قد تصعد الكلمة الواحدة إلى القمة، وتهبط إلى الحضيض في وقت قصير"، ومن أمثلته:

- كلمة (الحاجب) التي كان لها دلالة سامية أثناء حكم العرب بالأندلس، ثم انحطت في العصر الحديث، وأصبحت تستعمل الآن في معنى الخادم أو حارس الباب.
- وكان معنى (اليد الطويلة) السخاء والكرم كما في الحديث، ثم صارت تدل على السارق فيقال: فلان يده طويلة أي سارق.
- كلمة (بهلول) بمعنى السيّد ابتذل معناها، لتدل على من يقوم بأعمال مضحكة

4- رقي المعنى

فكما يحصل انحطاط في بعض دلالات الألفاظ يحصل هناك رقي، ولكنه أقل حدوثا وشيوعا من الانحطاط، ويسمى هذا النوع من التطور بسمو الدلالة أو التغير المتسامي، ومثلما عبر عنها إبراهيم أنيس" قد يسعد اللفظ فترقى دلالته، ندرة هذا في تطور الدلالات" ، ومن أمثلته:

- كلمة (رسول) التي كانت تدل على من يرسل في أي أمر كان عظم أو تفه، لكن عندما جاء الإسلام أخذت مفهومًا ساميًا، فأصبحت تدل هذه الكلمة على الشخص الذي أوحي إليه برسالة وأمر بتبليغها.
- كلمة (القماش) كانت تدل على ما يتناثر من متاع البيت أو ما على الأرض من فتات الأشياء، ثم أصبحت تدل على نوع من النّسيج المتقن الصنع.

5- انتقال المعنى:

وهو تحويل دلالة اللّفظ من مجال آخر على غير وجه الخصوص أو العموم، ويتم ذلك عن طريق المجاز أو الاستعارة أو الكناية، ومن الكلمات التي تغيرت دلالتها عن طريق الانتقال:

- لفظة (الشّنب) إذ كانت تعني في السابق صفاء الأسنان، وجمال الثّغر، ثم استعملت حديثًا بمعنى الشّارب.
- لفظة (الجمل) وانتقالها من الدّلالة الحسيّة إلى الدّلالة المجردة، إذ انتقلت من دلالتها على الإبل إلى الدّلالة على الجمال في الأشياء المتعددة.